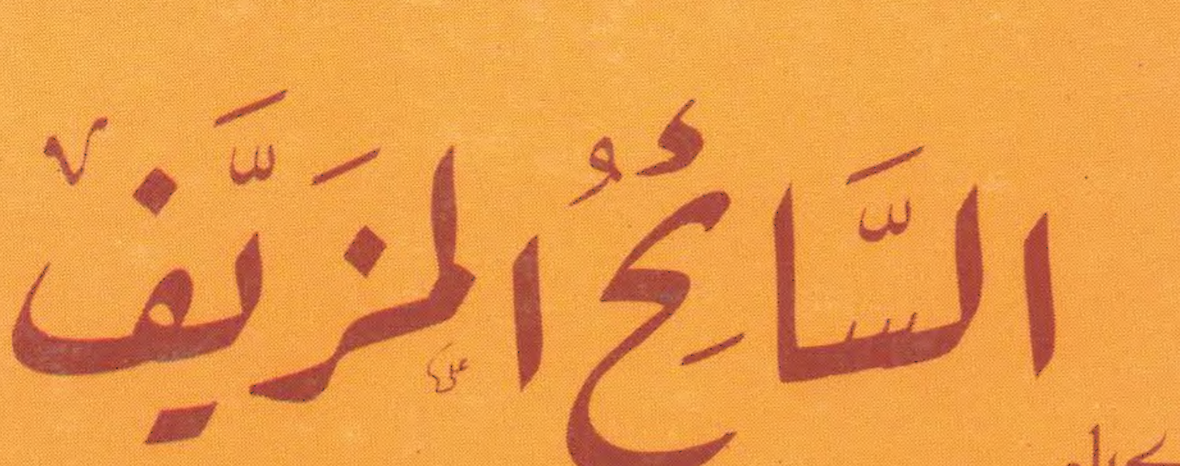


سلسلة

المغامرين الاذكياء

دار النفائس

٢٧

لئن كانت غاية القصة « البوليسية » جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا – في الغالب – العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب ، فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا « البوليسية » هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص ، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع ، والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحَضَّت عليها .

بالفخر الكبير ، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .



صدر من

« المغامرون الاذكياء »



المغامرون الأذكياء

السّائحُ المزيّف

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير واشراف
نعيم زرزور

دار النفائس

الطبعة الاولى : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
الطبعة الثانية : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

© دار النفائس

بيروت - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - برقياً : دانفايسكو

زائر الليل

انطلقت فرقة المغامرين الأذكياء في رحلة صيد إلى أحد المناطق الداخلية التي تزورها للمرة الأولى ، وكان أفرادها يجهلون طبيعة المناخ في هذه المنطقة ، كل ما دار في خلدهم أنهم في فصل الربيع ، وأن الطقس يميل إلى الاعتدال ، بل الارتفاع الطفيف في درجة الحرارة ، ولكن حساب الحقل لم يطابق حساب البيدر هذه المرة ، فصادفتهم ليلة شديدة البرودة ، ذكرتهم بليالي الشتاء القارصة البرد ، لدرجة أن بعضهم فكر في صرف النظر عن متابعة الرحلة ، وهم لا يزالون في بدايتها ، والعودة إلى المدينة . . . ولشد ما كانت دهشتهم عندما سمعوا ليلى تعترض على هذا الاقتراح وتقول فيما كانت أسنانها تصطك بصوت مسموع ، وصوتها لا يصل بوضوح إلى آذانهم :

ـ أنا لا أوافق على قطع الرحلة . . .

أجابها وليد بغيظ وهو يرتجف كذلك :

ـ عجيبة ؟ ! . لا توافقين على قطع الرحلة ؟؟ على ماذا توافقين إذن ؟ على تجمد الدم في عروقنا في هذا المكان ؟؟ . . .

تدخل عصام في الحوار ليقول :
ـ صحيح . . . فنحن لم نحمل معنا ملابس لمثل هذا الطقس . . . وهذا خطأ يجب تداركه في المرات المقبلة . . .
خافت ليلى أن يتجه تفكيرهم في الاتجاه السلبي ويقر قرارهم على العودة من حيث أتوا ، لذلك لجأت إلى سلاح تحسن استعماله لاقناعهم ، فقالت وقد أشعرتهم أنها تكاد تبكي :
ـ هل غاب عن ذهنكم كم عانينا لاقناع عمي المفتش جميل وزوجته السيدة سعاد بالموافقة على قيامنا بهذه الرحلة ؟؟
كان خالد ينظر إليهم وظل ابتسامة ترتسم على شفتيه وهو يقول :
ـ لو حاولتم التفكير بهدوء وروية لأمكننا التغلب على أية عقبة تعترض سبيلنا . . .
ساد جو المكان صمت ثقيل ، فيما كانوا يتبادلون النظرات لمتسائلة ، قبل أن يقول عصام :
ـ معك حق يا خالد . . . بقليل من الروية والصبر نذلل كل عقبات . . .
اعترض وليد وثار وهو يقول :
ـ من أين يأتي الصبر ؟؟ لقد تجمد الدم في عروقي فعلاً . . .
أجابه خالد بهدوء :
ـ طبيعي أن تتجمد طالما تعجز أمام عقبة بسيطة كهذه . . .
زادت ثورة وليد وهو يقول :

ـ وتعتبر هذا الموقف عقبة بسيطة ؟؟ . . .
قابل خالد ثورته بمزيد من التعقل والروية وقال بتؤدة :
ـ إنك ترى ما نحن فيه سداً عظيماً لأنك تستسلم للهزيمة بسهولة . . .
ران الصمت برهة من الزمن قبل أن يتم خالد حديثه ليقول :
ـ ماذا لو خرجنا وجمعنا بعض الحطب . . . إنه موجود في هذه الأماكن وبكثرة . . .
وافقت ليلى بحماس وهتفت :
ـ عظيم . . . فكرة رائعة . . . هكذا نتغلب على برودة المكان . . .
وافق عصام هو الآخر وأثنى على اقتراح خالد ،وقال وهو يهب واقفاً:
ـ لا شك أنها فكرة مدهشة . . . سألبي هذه الدعوة على الفور . . .
هب خالد من مكانه ليرافقه ، لكنه منعه بقوله :
ـ لا داعي لخروجنا جميعاً . . . إن الأمر لا يحتاج لكبير عناء . . . هناك بعض الأغصان اليابسة سأحمل بعضها وأعود . . .
انهمك كل منهم في القيام بعمله ، فأخرج خالد سكيناً عريض النصل وأخذ يحفر في الأرض ، فيما حمل وليد بعض الأحجار ليكونا منها موقداً ، بينما كانت ليلى تفتش عن بعض الأوراق ، أو عروق الشجر الدقيقة . . . لحظات وكان عصام يضع أمامهم بعض الأغصان التي انقضوا عليها انقضاض الوحوش الجائعة على فريستها ، فأحالوها، بقليل من الوقت ، إلى قطع صغيرة سرعان ما وضعوها في ترتيب جميل

في الموقد واضرموا فيها النار . . .

تحلقوا حول النار يستشعرون الدفء بعد أن كادت أطرافهم تتجمد من شدة البرد ، وسرت الحرارة في أوصالهم المقرورة ، وحملت معها السعادة . . .

كانت ليلى أشدهم فرحاً وبهجة ، فنظرت إلى وليد وقالت بلهجة ساخرة :

ـ ألا زلت تشعر بالبرد يا سيد وليد ؟؟ . . .

لم يرد وليد على سخريتها ، بل أجابها بمرح قائلاً :

ـ لا ، وإن كنت لم أشعر بمثل ما شعرت به من برد طوال حياتي . . .

ضحك الآخرون من تعليق وليد ، فقال عصام :

ـ هل نسيت أننا في منطقة ريفية يختلف مناخها عن مناخ المدينة ؟ . . . على أية حال لن تحضر معنا في رحلات مماثلة في المستقبل . . .

نظر إليه وليد معاتباً وقال بمرح ظاهر :

ـ أحقاً تقصد ما تقول ؟؟ مسكين . . . هل تحلو لكم الرحلات بدوني ؟؟

كان فصيح يندس في حجر ليلى طلباً للدفء ، لذلك ظل ساكناً طول الوقت ولما دبت الحرارة في جسمه النحيل فاجأهم بصراخه يتعالى مقلداً وليد :

ـ لقد تجمدت . . . لقد تجمدت . . .

ضحكوا بمرح وسعادة ، فيما كانت ليلى تقول لفصيح :

ـ تجمدت ؟ . . . يا لك من كاذب . . . الآن وبعد أن سرى الدفء في أرجاء المكان تقول تجمدت ؟؟

أدرك فصيح أنه أخطأ في الحديث ، فأسرع يغير الموضوع مبرهناً عن ذكاء فطري حاد فقال :

ـ ليلى حبيبتي . . . فينو حبيبي . . . سرور . . حبيبي . .

كان سرور ينظر إليه شذراً قبل أن يلفظ اسمه ، وازداد توثبه عندما تأخر فصيح في لفظ العبارة الأخيرة ولكنه فرح وقام بحركات بهلوانية جيدة عندما أنهى فصيح عبارته ، مما أدخل السرور إلى قلوبهم جميعاً ، ولكن خالداً نظر إلى فصيح وسأله بلهجة عتاب عندما قال :

ـ ونحن ؟ . . ألسنا أحباءك كذلك ؟؟ . .

تأمله فصيح بجانب واحد من وجهه قبل أن يجيب بالقول :

ـ خالد حبيبي . . . عصام حبيبي . . . وليد حبيبي . . . فصيح جبار . . . فصيح . . .

ضجوا بالضحك لهذا التتابع وازداد مرحهم بعد أن كان الجمود يلف جلستهم الباردة، واستمروا على هذه الحالة إلى أن هب فينو فجأة، وانتَصبت أذناه واندفع يزمجر بغضب ، وانتصب شعر عفرته وتصلب على رقبته حتى لكأنه الشوك . بسرعة ، امتدت أياديهم إلى بنادقهم ، وكانت محشوة ومجهزة تحسباً لأي طارىء ، فيما كان فينو يتقدم

ويتراجع متخذاً وضعاً هجومياً وهو لا يكف عن الزمجرة الغاضبة . . .

قالت ليلى بتوجس وخوف :

ـ لا شك أن حيواناً يحوم حولنا . . .

قال وليد موافقاً وشارحاً :

ـ البرد قارص هذه الليلة ، فلربما استشعر الدفء في هذا المكان ، أو أن منظر ألسنة النار جذبه إلينا . . .

لم يقتنع خالد بهذه الفكرة ، فهو يعلم أن الحيوانات تهرب عندما ترى ألسنة اللهب ترتفع في جوارها ، لذلك أظهر تخوفه من وجود ما يحمل الإساءة إليهم ، فقال :

ـ يجب أن نستعد ، على أية حال ، لا تنسوا حشو بنادقكم فقد يشكل الزائر لنا خطراً علينا في مثل هذا الوقت من الليل البارد . . .

في أقل من طرفة عين ، كانت بنادقهم مجهزة بما يلزم للإطلاق ، ولكنهم سكنوا تماماً وأصاخوا السمع لنداء استغاثة يصدر عن إنسان قريب منهم . . .

انطلق فينو ناحية الصوت وتبعه عصام ويده على زناد بندقيته ، فإذا بهما وجهاً لوجه مع رجل يرتجف من البرد يحاول الاقتراب منهم طلباً للدفء ، وقد كسا جسده ، مثلهم ، بثياب لا تناسب طبيعة المكان . . . تأمله عصام ملياً قبل أن يدعوه للانضمام إليهم ، فبدا له رجلاً مسكيناً قد ضل طريقه في هذا المكان المقفر ،ولكن الرجل سارع للقول :

ـ كنت ألحق بحماري الذي نفق من شدة البرد في مكان غير بعيد من هنا . . .

رق قلب عصام له ، فدعاه للجلوس معهم ، وفي أقرب مكان من موقد النار المتأججة أمامهم ، وأخذ كل منهم يتأمله بدوره، . . . إنه في ريعان الشباب ، كث الحاجبين ، صارم القسمات ، ويبدو أنه يتمتع بقدر من القوة الجسدية تظهرها عضلاته المفتولة . .

احتفى به أعضاء الفرقة بما يليق من حسن الاستقبال والضيافة ، فأحضرت له ليلى كوباً من الشاي الساخن كانوا قد أعدوه منذ لحظات ، فتقبله شاكراً وأخذ يرتشفه بتلذذ ظاهر ،

بعد أن سرى الدفء في جسده الذي لم يكن يستره إلا سترة رقيقة من الكتان ، قال لهم شاكراً :

ـ أشكركم . . . كدت أهلك من شدة البرد والتعب . . . شكراً لك يا رب فقد أرسلت إليَّ من ينقذني في هذا الليل البهيم القارص البرد . . .

أجابه خالد مواسياً :

ـ الحمد لله على كل حال . . . يسعدنا أنك بيننا الآن . . .

تدخل وليد ليقول :

ـ فعلاً ، الشكر والحمد لله وحده سبحانه ، فهو الذي يقدر الأقدار . . .

أجابه الزائر الغريب بقوله :

ـ قدَّركم الله على فعل الخير دائماً . . .

التفت خالد ناحية زائرهم وسأله :

ـ لم تخبرنا إلى أين كنت ذاهباً في هذا الليل البهيم ، وبمفردك ؟؟

نظر إليه الرجل بعينين واسعتين وقال :

ـ كنت في طريقي إلى المعبد في قمة الجبل عندما داهمتني هذه العاصفة غير المنتظرة . . . من يتصور هبوب مثيل لها في أيام الربيع هذه ؟؟

تبادل المغامرون نظرات تفاهم فيما بينهم قبل أن يرد عليه خالد بقوله :

ـ وأين يقع هذا المعبد ؟ . . وهل الطريق ممهدة لننقلك بسيارتنا الآن ؟؟

حدجه بنظرة متفحصة خبيثة وقال بمكر :

ـ لِمَ كل هذه المشقة ؟ . . . أشْكرُكم جزيل الشكر على هذه الأريحية، ولا داعي لتجشم مخاطر الطريق خصوصاً في مثل هذا الوقت المتقدم من الليل وفي هذا الطقس العاصف الذي لم يصادفني مثيل له أنا الذي يقيم في هذه القفار . . .

اتسعت حدقات عيونهم وهم يتأملونه بدهشة واستغراب ، فقالت ليلى :

ـ وهل أنت من سكان هذه القفار ؟؟ . . . لكنك لا تبدو كذلك . . .

تنهد الرجل بصوت مسموع وقال بحسرة :

ـ الآنسة على حق . . . فأنا وإن كنت ولدت في هذه المنطقة وأقيم بين شعابها ، إلاّ أنني لست من أبناء هذه البلاد . . .

لمح في عيونهم مدى الدهشة التي تنطق بها ، ولكنه تابع بعد برهة يجيب على استفسارات لم ينطقوا بها ، بل قرأها في ملامح وجوههم ، فقال :

ـ . . . والداي من أصل فرنسي ،قدما هذه البلاد إبان الحرب العالمية الثانية ، وطالت إقامتهما هنا ، في هذه المنطقة ، وحملت بي أمي ووضعتني وكانا لا يزالان هنا مع باقي جنود الحملة ، وصادف أن هذا المعبد هو أقرب مكان لهما ، . . . وهكذا ، فقد جئت إلى هذا العالم وأنا غريب عن الديار . . . ولمّا أزل فيه كما ترون . . .

كان الاهتمام بتفاصيل القصة واضحاً من سكونهم الطويل ، إلاّ أن خالداً بادره بالسؤال :

ـ ولماذا تركك ذووك هنا ؟ ألم يعودا إلى موطنهما ؟؟

نظر إليه نظرة طويلة واكتسى وجهه بتعابير تعكس حزناً دفيناً قبل أن يقول :

ـ لم يكن بإمكانهما ذلك . . . فرحلتهما طويلة وطويلة جداً . . .

وتنهد بعمق ، مما أثار استغرابهم من جديد ، فسألته ليلى :

ـ مهما كانت طويلة ، أي مكانٍ كانا يقصدان في هذه الرحلة ؟

أجابها بحسرة وبصوت مخنوق :

ـ لقد اقتلعهما المرض . . . فذهبا مع الآلاف ممن قضى عليهم

وباء الطاعون الذي سببته الحرب . . .

نظرت إليه ليلى بتأثر بالغ وشهقت وهي تردد :

ـ يا إلَهي . . . عفوك يا رب . . .

ساد صمت طويل كان الحزن سيد الموقف فيه ، فيما كان الرجل الغريب يتأمل وجه ليلى وأردف دون أن يسأله أحد :

ـ لما انتهت الحرب كنت في سن لا تسمح لي بالذهاب ، فتعذر ترحيلي إلى أهلي في فرنسا ، . . . وهكذا بقيت في هذا المعبد ، بل أصبحت من أبنائه وخدمه كما ترون . . .

وسكت برهة قصيرة جال فيها بنظره على وجوههم ثم قال :

ـ هذه باختصار ، قصة حياتي . . .

استغرب عصام الحادثة ، بل القصة من أولها ، ولكنه فضل عدم إظهار حقيقة مشاعره ، ولكنه سأله :

ـ ألم تحاول الاتصال بذويك في فرنسا ؟؟

أجابه ببساطة بددت شكه ، وكأنه كان يتوقع طرح مثل هذا السؤال :

ـ وهل أعرف أحداً منهم لكي اتصل به؟؟ إنني أعتبر أبناء هذا المعبد أهلي وإخوتي ، كما أن الرئيس هنا هو بمثابة والدي ، فإن لم يكن والدي الحقيقي فهو أبي الروحي الذي تعهدني . . . وسهر على تربيتي . . .

يظهر أن ليلى ملت سماع هذه القصة ، أو أنها أحست بلذع سياط الجوع في أحشائها ، فقالت :

ـ ألم تشعروا بالجوع ؟ . . . ما رأيكم في تناول وجبة خفيفة ؟؟ أظن هذا ضرورياً في مثل هذا الوقت ؟؟ . . .

رفع وليد معصم يده اليسرى لينظر في ساعته قبل أن يجيب :

ـ صحيح . . . يجب أن نتناول شيئاً من الطعام وإلاّ سنموت جوعاً قبل بزوغ الفجر . . .

ضحكوا بمرح لتعليق وليد الذي يحرص دائماً على الأكل ، ولكن ليلى أجابته بقولها وهي تمزح :

ـ لا تخف . . . حملنا معنا ما يكفي لأسبوع . . .

هبوا بنشاط يتناولون ما تيسر من طعام ، فيما كان الزائر يساعدهم في إعداده وتحضيره ، وكانت لحظات تغلبوا فيها على برودة الطقس ، أو أنهم نسوا ذلك ، إلى أن قال زائرهم والابتسامة على شفتيه :

ـ أليس غريباً أن نمضي معاً وقتاً طويلاً دون أن تتعرفوا على اسمي ؟؟

أجابه عصام بمرح ظاهر ، وكأنه تذكر شيئاً :

ـ فعلاً ؟ ! كيف لم نطرح عليك سؤالاً كهذا ؟؟

لم يتردد الزائر بالإجابة قائلاً :

ـ أدعى فرنسوا جان دي كارڤيه . . .

أجابه خالد بأدب جم :

ـ أهلاً بك بيننا يا سيد فرنسوا . . .

ثم أخذ يقدم له أفراد الفرقة فرداً فرداً إلى أن قال أخيراً :

ـ . . . وهذا فينو ، وهذا سرور . . .

قاطعه فصيح الذي آثر أن يقدم نفسه :

ـ فصيح . . . إسمي فصيح . . .

سرت موجة من الضحك بينهم ، قطعها فرنسوا بقوله :

ـ كم أنا سعيد بمعرفتكم . . . أرجو أن تتمكنوا من زيارة المعبد ، حيث أقيم ، لأعرفكم بأفراد أسرتي فيه جميعاً . .

قال عصام الذي بدأ النعاس يغزو جفنيه وقد فتح فاه متثائباً :

ـ يسرنا أن نقوم بهذه الزيارة ولكن ألا ترون أن النوم أصبح ضرورياً في مثل هذه الساعة ؟؟

وافقه خالد على هذا الاقتراح بعد أن اختلس النظر إلى ساعة يده وقال :

ـ ياه . . . لم نشعر بانقضاء الوقت بهذه السرعة ؟؟ . . .

أيَّد الآخرون اقتراح عصام وسرعان ما تقاسموا الخيم التي نصبوها لهذه الغاية فانصرفت ليلى وعصام إلى خيمتهما ومعهما فصيح ، ودخل الآخرون الخيمة الأخرى ، وبقي لحراستهم فينو برفقة سرور . . . وبعد لحظات كانوا جميعاً يغطون في نوم عميق . . .

***

شكوك خالد !!

استيقظوا مع بزوغ الفجر وكلهم نشاط وحيوية ، وكانت درجة الحرارة قد ارتفعت قليلاً ، وهدأت الرياح التي كانت تعبث بخيامهم في الليل . خرج خالد يتفقد السيارة فحمد الله أنه وضع عليها غطاءها المخصص لمثل هذه الرحلات في مناطق الصيد شبه الصحراوية ، وإلا كانت الرمال التي حملتها الرياح قد غطتها تماماً وسببت أعطالاً فيها ، خاصة المحرك ، وبعد أن قام كل منهم بما يتوجب عليه تناولوا إفطاراً خفيفاً وبدأوا ، متعاونين ، بإزالة ما تكدس من رمال فوق السيارة وحولها يعاونهم فرنسوا بذلك عرفاناً بالجميل وأخيراً قال مودعاً :

ـ أشكركم على حسن ضيافتكم لي وأرجو أن تزوروني . . . إن المعبد لا يبعد أكثر من ثلاثين كيلو متراً من هنا على ما أتصور . . .

استوقفه خالد وهو يقول بمرح :

ـ وهل ستقطع هذه المسافة سيراً على قدميك ؟؟ لا . . . لا . . . سنوصلك بالسيارة فتكون فرصة مؤاتية للتعرف على مكان المعبد .

و . . .

قاطعه فرنسوا بإصرار غريب قائلاً :

ـ لا . . . لا . . . سيغضب الرئيس إذا ما عدت في سيارة ، وسيعتبر هذا التصرف مخالفاً لقوانين العيش في المعبد والمعابد المماثلة . . .

إزاء إصراره وعناده لم يسعهم إلا الموافقة على تركه يرحل كيفما يشاء ، ولكنهم ظلوا في مكانهم يراقبونه وهو يبتعد حتى توارى عن أنظارهم ،

أثار تصرفه هذا ردود فعل عندهم فقالت ليلى معجبة :

ـ يا له من إنسان نشيط . . . فلتكن العزيمة هكذا وإلاَّ فلا . . .

أجابها خالد بلهجة ساخرة :

ـ نشيط ؟ . . . حقاً إنه نشيط وهذا ما دفعني للشك في صدقه . . .

تطلعوا إليه بدهشة واستنكار عبر عنهما وليد عندما قال :

ـ أنت لا تفتأ تشك في كل شيء وفي أي إنسان . . .

قاطعته ليلى لتقول بدورها :

ـ لست أدري ما أثار شكوكك يا خالد . . .

وبهدوئه المعتاد أجابهما خالد بلهجة تعكس ثقته فيما يقول :

ـ قال إنه ولد وتربى ولا يزال في المعبد . . . أليس كذلك ؟؟

قال عصام مستهجناً :

ـ نعم . . . وماذا في ذلك ؟؟

ببساطة ، أجابه خالد بقوله :

ـ وهل مظهره يدل على صدقه ؟ . . . كيف يتفق البياض النقي لبشرته مع طبيعة هذه المنطقة شبه الصحراوية ، المقفرة ؟



تابعوا حديث خالد باهتمام وهو يلمح إلى نوع الأعمال التي يمكن لفرنسوا وأمثاله القيام بها وختم حديثه قائلاً :

ـ أليس للشمس أدنى تأثير على تغيير لون وجهه ، اللون الذي يتميز به سكان هذه المنطقة ، من جراء عملهم اليومي في أملاك المعبد ؟؟

ضحكت ليلى وقالت مشككة :

ـ ما تقدمه يا خالد جدير بالاعتبار . . . ولكن ماذا لو كان عمله ضمن المعبد لا يعرضه لأشعة الشمس . . .

أصر خالد على رأيه ، فهز كتفيه بغير مبالاة وقال :

ـ ربما ! . . ولكن هذا يتنافى مع الواقع . . . فالرجال في المعابد يقومون بالأعمال المختلفة فما بالكم بما قاله عن رحلته والمسافات التي يقطعها سيراً على قدميه مع حماره الذي نفق ؟؟ . . .

ضاق وليد ذرعاً بهذا الحوار ، فقال بملل :

ـ لماذا كل هذا الجدل حول حقيقة الرجل . . . هل يهمنا في شيء أن يكون أسمر البشرة أم أبيضها ؟؟

وافقت ليلى على رأيه قائلة :

ـ وليد على حق . . . فلنواصل رحلتنا فهذا أجدى لنا . . .

أذعنوا جميعاً لطلبها فكفوا عن الحوار ، ولكن صوت وليد فاجأهم وهو يقول وقد وضع يمناه على معدته :

ـ ليلى . . . هل معك شيء آكله ؟؟ . . . .

تعالت ضحكاتهم فيما أجابته ليلى بتهكم :

ـ هذا كل ما يشغلك أنت . . . الأكل ولا شيء سوى الأكل . . .

تسجيل على ظهر حمار

انقضى اليومان الأولان من الرحلة في جو من السرور والبهجة أمضوا خلالهما وقتاً ممتعاً في التعرف على معالم المنطقة ، فقاموا بزيارة بعض الأماكن الأثرية وفي نيتهم البحث عن المعبد الذي تحدث عنه زائرهم الغامض فرنسوا ، فذهبت كل محاولاتهم أدراج الرياح ، وفي الوقت الذي قرروا فيه الرحيل فاجأهم ظهور فرنسوا في المكان . لم يكن وحيداً هذه المرة ، بل كان برفقته رجلان آخران وقد ارتدى الجميع زياً موحداً . استقبلهم المغامرون استقبالاً حاراً ، فتقدم منهم فرنسوا وقال باسماً يشير على كل منهما بمفرده :

- إنهما من أفراد أسرتي الكبيرة . . . أخي يوسف . . . وأخي سمعان . . .

صافحهم كل واحد بدوره ولكنهم نفروا من منظر الأخير ، سمعان . . . كانت ملامحه تعكس شراً كامناً في نفسه ، نظراته قاسية ، دائم التجهم ، عصبي المزاج . . . وزاد الموقف تأزماً وسوءاً تصرف فينو . . . فقد اعتاد ذلك الكلب الذكي التعرف على الأصدقاء الجدد

بطريقته الخاصة ، فاقترب منهما يتشمم رائحتهما وقد أغراه منظر سمعان الذي ظل صامتاً عابساً طوال الوقت ، وفجأة تراجع غاضباً وقال بعصبية ظاهرة حاول ، جهد طاقته ، أن يخفف من حدتها :

ـ ابعدوا هذا الكلب عني . . . أنا لا أحب الكلاب . . .

انتبهوا لتصرف فينو بعد أن حجبته عنهم عبارات التعارف بين الجميع ، فنادت ليلى :

ـ فينو . . . تعال . . .

وعلى غير عادته ، لم يمتثل الكلب الذكي لطلبها ، فالتفت نحوها وهز ذيله بهدوء . . . ثم زاد اقترابه من سمعان وأخذ يتشممه بإصرار غريب . . . فقد أحس ذلك الحيوان بغريزته بمثل مشاعر الاشمئزاز يبادله بها سمعان الذي خرج عن طوره ، فانفجر غاضباً ليقول مهدداً :

ـ قلت لكم أبعدوه . . وإلاّ . . .

ثار عصام لهذا التصرف ، فقال بحدة وغضب مماثل :

ـ وهل آذاك ؟؟ ماذا اقترفت يداه حتى تغضب هكذا ؟ . . . إنه يتعرف عليك بطريقته ليس إلاّ . . .

جمع وليد قبضة يده إلى جانب جسمه ، وقاطع ابن عمه عصام ليقول :

ـ لا تفكر في التهديد ، يا سيد سمعان ، وإلاّ ندمت أشد الندم . . .

تدخل فرنسوا بالحوار وقال مهدئاً :

لا تغضب يا سمعان . . . إنه كلب أليف حقاً . . .

أجابه سمعان والغضب يستبد به :

ـ وماذا يهمني إن كان أليفاً أم غير أليف ؟؟ قلت أبعدوه عني وكفى . . .

كانت نظرات السخط والاشمئزاز تحيط به من كل جانب ، لفظاظته ، ونظرات اللوم والتقريع يوجهها إليه فرنسوا الذي تولى تلطيف الأجواء الساخنة ، المشحونة بمشاعر الغضب ، فقال بلهجة ناعمة ولكنها حاسمة :

ـ كفى يا سمعان . . . إنك تبالغ . . . انظر ، فقد ابتعد عنك من تلقاء نفسه . . .

كان فينو خلال هذا النقاش يجسد المثل القائل « مثل الأطرش في الزفَّة » ،

فقد أنهى مهمته في التعرف على الأصدقاء الجدد ، وبهدوء ملحوظ ، عاد أدراجه ليقف متمسحاً بساق خالد . . . وهنا تابع فرنسوا حديثه ليغير مجرى الحوار عندما قال :

ـ كنا في طريقنا لنصب الفخاخ لاصطياد الثعالب التي تلحق الأذى بدواجن المعبد . . .

تبادلوا نظرات تغلفها الدهشة عندما سألته ليلى :

ـ طيور المعبد ؟ . . . هو قريب من هنا إذن ؟؟

تلعثم فرنسوا قبل أن يجيب بقوله :

ـ فعلاً . . . إنه في الجانب الآخر لهذه الأكمة . . .

قالت ليلى بمرح وكأنها تتعمد إحراجه ، ولكن دون أن تقصد :
ـ رائع . . . يمكننا إلقاء نظرة على المكان . . . لا شك أن الحياة لخاصة ضمن جدرانه وفي ربوعه مثيرة ، خصوصاً بالنسبة لنا . . .
قطب فرنسوا حاجبيه ، وأشاح عنها بوجهه ، وتقنع بقناع الأسف وهو يقول بخجل كمن يعتذر :
ـ ليت باستطاعتي دعوتكم للقيام بهذه الزيارة . . .
تساءلت ليلى ببراءة :
ـ وما المانع يا سيد فرنسوا ؟ نحن لا نريد إحراجك . . .
أجابها على الفور ، وبنفس الأسلوب السابق :
ـ في الواقع حظر الرئيس المسؤول دخول الأغراب إلى حرم المعبد ، فالحياة فيه تخضع لأنظمة وقوانين صارمة جداً ، ولا يسمح لنا ، مهما كانت الأسباب ، دعوة أي كان للزيارة . . . آسف شديد الأسف . . . ليتني أستطيع إكرامكم رداً على احتفائكم بي في تلك الليلة . . .
أحست ليلى بالحرج فاصطبغ وجهها بحمرة محببة من الخجل ، مما أثار حفيظة عصام فقال :
ـ ولماذا الاعتذار . . لعل أحسن ما في نظام معبدكم البند الذي يمنع زيارة الأغراب عنكم . . .
كان ينهي عبارته وهو يتطلع باشمئزاز وتحدٍ إلى وجه سمعان ، ثم أردف متابعاً .

ـ . . . على ما يبدو ، ليس فيه ما يغري على الزيارة . . .

وقبل أن يسمع الإجابة من أحد ، نظر إلى الأذكياء وقال بحزم :

ـ هيا بنا . . . إنني أشمُّ رائحة كريهة هنا . . .

فهم رفاقه ماذا يعني بحديثه ، فصوبوا نظراتهم صوب سمعان الذي أدرك بدوره قصد عصام ، فظهرت على وجهه ملامح الغضب ، وتحركت في نفسه كوامن الشر فأحس برغبة جامحة في خوض معركة مهما تكن النتائج ، فتقدم من عصام بعد أن جمع قبضة يمناه الضخمة ، ولكنه تسمَّر في مواجهة ذلك الشبل الفتي عصام الذي استعد بدوره للقتال ، فنفخ صدره ، وثبت في مكانه وقد اكتسى وجهه بملامح القوة والصرامة . . .

كاد زمام الأمر يفلت من أيدي المجتمعين بعد أن تكهرب الجو بعنف وأصبحوا على شفير معركة لا يدري أحد خطورة نتائجها ، إلاَّ أن فرنسوا حسم الأمر بصورة أدهشت جماعة الأذكياء عندما قطب حاجبيه وهو يتحدث بلغة أجنبية إلى سمعان وبلهجة غاضبة ، فكان رد فعل سمعان غريباً مذهلاً ، فقد انكمش بصمت وأطرق باستسلام وتراجع عن مكانه . . . التفت فرنسوا ناحية الأذكياء وقال معتذراً :

ـ أرجو أن تعتبروا ما حدث مجرد سوء تفاهم بين أصدقاء . . .

كان خالد يواصل دراسة تصرفات فرنسوا ، والآخرين كذلك ، ويحصي عليهم انفعالاتهم فأيقن أن المدعو فرنسوا يتمتع بشخصية مسيطرة ، فهو ليس بالشخص السهل الناعم كما يدل مظهره

وتصرفاته . . . إنه يحكم السيطرة تماماً على زميليه . . . وبذكاء اشتهر به خالد تولى الإجابة على طلب فرنسوا فقال ، وبنفس اللهجة الماكرة :

- طبعاً . . . طبعاً . . . . فلنعتبر الأمر منتهياً . . .

ويسرعة خاطفة ، كانت عينه اليمنى تغمز لعصام ويقول له :

- . . . أليس كذلك يا عصام ؟؟ . . .

رسم عصام ابتسامة باهتة على محياه ، وتصنع الضحك وهو يجيب :

- طبعاً . . . كما تشاء . . .

استمر فرنسوا في محاولة التهدئة ، فقال مازحاً وهم يهمُّون بالانصراف :

- أرجو ألّا يتكرر هبوب العواصف فتسبب لنا فقدان حمار آخر ، كما حدث تلك الليلة الباردة . . .

فضل الأذكياء الصمت بينما تولى خالد الرد فتساءل وهو يضحك :

- صحيح . . . ولكني لا أرى معكم حميراً ؟؟

كان فرنسوا يتوقع سؤالاً مشابهاً ، لذلك أجاب على الفور وهو يشير بيمناه ناحية دغل قريب منهم .

- ربطنا الحمار المتبقي معنا هناك كي ينال قسطاً من الراحة ، فقد كان حمله ثقيلاً . . .

جرت مراسم الوداع بسرعة ، فتصافحوا جميعاً ، ولكن عصاماً لم ينسَ أن يضغط على يد سمعان الذي قام بعمل مماثل ، فيما كانت نظراتهما النارية تعكس غضبهما وحنقهما . . .

استقل الأذكياء ، مع حيواناتهم ، السيارة ، في حين اتجه فرنسوا ورفيقاه ناحية الدغل . . . تحركت السيارة ، ولم يكن مقرراً لهم السير باتجاه الدغل ، ولكن خالداً الذي تخلى عن مهمة القيادة لوليد ، قال :

ـ وليد . . . انحرف قليلاً في هذا الاتجاه لنتمكن من إلقاء نظرة على الدغل والحمار الذي ينتظرهم فيه . . . نظرت إليه ليلى باستغراب وقالت مستنكرة :

ـ خالد . . . ما شأننا بالدغل والحمار ؟؟ ماذا عسانا نفعل ؟؟

رماهم بنظرة ذات مغزى ، وابتسم وهو يقول :

ـ لا شيء . . . كل ما في الأمر أنني مشتاق لرؤ ية حمار . . . أي حمار . . .

امتثل وليد لطلب خالد دون تردد ، وعاد إلى حيث أشار خالد ، ومر بالقرب من الرجال الثلاثة الذين استغربوا هذا التصرف ، وكانت مفاجأة لأعضاء الفرقة ، فما أن تجاوز وليد الدغل المقصود حتى انكشفت أمامهم حديقة صغيرة غنَّاء ، ارتفعت فيها أشجار باسقة ونبتت فيها مجموعة من أنواع النباتات المختلفة الأشكال ، إلى جانب عدد من أشجار النخيل السامقة الطول ، ولشد ما كانت دهشتهم وقد تناهى إلى أسماعهم خرير مياه ينبعث من نبع توسط هذه الحديقة الجميلة . . .

بهرهم المكان بجماله ، ولكن عيونهم كانت تبحث عن هدف آخر ، آه ، ذاك هو الحمار المقصود يقف جانباً وقد أثقل ظهره بحمل يبدو أنه ثقيل ، هنا قال خالد :

ـ أسرع يا وليد . . . اقترب منه قدر المستطاع . . .

ترجل خالد من السيارة وقصد مكان الحمار ، وبعد برهة تفحص خلالها الحمل ، عاد أدراجه إلى السيارة وقال :

ـ ليلى . . . أين جهاز التسجيل ؟؟ . . . إليَّ به بسرعة . . . .

كانت دهشتهم ظاهرة ، ولكن أحدهم لم يحاول طرح أي سؤال ، وإن أسرعت ليلى بتلبية طلب خالد فتأكد من صلاحيته للعمل وكذلك من وجود شريط تسجيل فارغ ضمنه ، وقبل أن يتحرك من مكانه ارتفع صوته منادياً :

ـ سرور . . . اتبعني . . .

بسرعة خاطفة تبع سرور صاحبه عند سماع اسمه ، وقرب الحمار توقف خالد يراقبه سرور وهو يسمع ما يطلب منه :

ـ سرور . . . أرأيت أين تضع هذا الجهاز . . . عليك إعادته عندما أطلب منك ذلك . . . مفهوم . . .

كان خالد يخفي الجهاز في مكان لا تصل إليه أيادي الرجال الثلاثة ، ساعده على ذلك حجم الحمل على ظهر الحمار ، وعاد خالد يرافقه سرور قبل وصول فرنسوا ومن معه ، وبعد أن وضع بعض الحصى في الأجراس المتدلية من رقبة الحمار المسكين ليخفف من رنينها عند السير . . .

لم ينسَ خالد أن يتأكد من استعياب سرور لما يطلب منه ، لذلك ضحك ملياً وهو ينظر إلى سرور الذي كان يعبر بحركاته الرشيقة عن



فهمه لما يسمع . . .

انطلقت السيارة من جديد بعد أن انضم خالد إلى ركابها ، ومن خلال المرآة نظر وليد فتراءى له شبح فرنسوا يتقدم رفيقيه وإن كانت المسافة بعيدة بين المجموعتين . . .

كانت ليلى قلقة من تصرف خالد ، فلم تنتظر بلورة الأمور حتى تعرف الأمر ، بل طرحت على خالد سؤالها بدهشة :

ـ خالد !. . ماذا فعلت ؟؟. . .

كان خالد يفكر في حقيقة الرجال ، لذلك أجابها بغموض قائلاً :

ـ إنهم ليسوا كهنة يا ليلى كما حاول أن يوحي إلينا فرنسوا . . . كهنة المعابد لا يحملون البنادق . . .

كانت حدقات عيونهم تتسع وهم يصيخون السمع إلى خالد يتابع حديثه قبل أن يسأله أحد :

ـ إن الحمار يحمل ، فيما يحمل ، خيمة ومؤناً وعدة للحفر . . . معنى هذا أن فرنسوا كذب علينا . . .

قاطعه عصام ليقول :

ـ المعنى أنهم يقصدون القيام بعمل ما ؟!.

أجابه خالد على الفور :

ـ طبعاً . . . هذا ما ورد في ذهني أيضاً . . .

تدخلت ليلى من جديد لتسأل :

ـ وما لزوم جهاز التسجيل مع حمار ؟. . . هل تريد تسجيل نهيقه

الجميل ؟؟ . . .

علق وليد ساخراً :

ـ إنه يريد أن يعكس الآية « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » .

ضحكوا ملياً من تعليق وليد ، وساد جو من الحبور والفرح قبل أن يجيب خالد عن سؤال ليلى بقوله :

ـ أردت التأكد من صدق ظنوني بهم . . .

أردف عصام قائلاً :

ـ صحيح . . . حتى لا نقع في الإثم بسوء الظن . . .

خافت ليلى من ضياع الجهاز الجيد ، فقالت تلوم خالداً :

ـ كيف نستعيد الجهاز يا خالد ؟؟ . . أعتقد أنك تصرفت بسرعة قد تفقدنا هذه الآلة النادرة . . .

كان خالد واثقاً من حسن تصرفه ، لذلك أجابها وهو يضحك .

ـ من أين لك هذه الأفكار النيِّرة ؟؟ . . . لن نفقد شيئاً ، بالعكس . . . سنعرف ما نريد بإذن الله . . .

سأله عصام بضيق :

ـ كيف ؟

أشار خالد بيده ناحية سرور وقال وهو يربت على رقبته :

ـ سيعيدها إلينا هذا الشيطان . . .

راقت العبارة لفصيح ، فطفق يردد بصوت عالٍ :

ـ سرور . . . شيطان . . . سرور شيطان . . .

ابتسم سرور على غير عادة في مواقف مشابهة ، فجلس بكبرياء ، وأزاح قبعته إلى مؤخرة رأسه بزهو واعتداد ، نظر إليه وليد وقال معلقاً :

- يبدو أن شبح القيام بمغامرة يلاحقنا في كل مكان . . .

حاولت ليلى تغيير مجرى الحديث عندما تساءلت :

- ماذا نفعل لو شاء الحمار ، الطيب الذكر ، أن يؤدي وصلة غناء بصوته المعروف ؟؟ عادوا للإغراق في الضحك من جديد فيما كان وليد يقول تعليقاً على تساؤلها :

- سيكون تسجيلاً رائعاً ، بل نادراً ، نبيعه إلى محطات الإذاعة . . .

كانت عبقرية وليد تطلع عليهم ، كل هنيهة ، بتعليق طريف ، مما دفعهم للتساؤل ، ما باله اليوم ، إن قريحته تتفتق عن كل جديد . . . وساد الهرج والمرج ، ولم ينتبهوا لوصول الرهبان إلى مكانهم المقصود قرب الحمار ، فقال عصام :

- قد يلاحظون آثار أقدامكم على الأرض . . .

هز خالد منكبيه بغير اكتراث وقال :

- حتى لو انتبهوا لن يخامرهم أدنى شك لأننا لم نلمس حاجياتهم أو نحرك شيئاً منها من مكانه . . .

كانت تعليقاتهم وأحاديثهم مستمرة مع استمرار سيرهم البطيء بعيداً عن مكان الرجال الثلاثة بطريقة لا تلفت النظر إليهم ، وفي مكان مناسب للمراقبة التفت خالد ناحية وليد وقال :

ـ وليد . . . توقف ودعونا نصطاد بعض الطيور هنا . . .

رنوا بأبصارهم إلى سماء المكان من نوافذ السيارة ، فأدهشهم خلوها من أي طائر ، فقالت ليلى :

ـ أية طيور تقصد ؟ إني أرى السماء خالية ولا أسمع زقزقة . . .

ابتسم خالد بعدها وقال :

ـ سوف ننتظر حتى تظهر . . . ترجلوا أنتم وسأتسلى بمراقبة ما يجري قرب الحمار داخل السيارة بواسطة منظاري المكبر الخاص . . .

انصاعوا لأمره ، وغادروا مقاعدهم يحملون بنادقهم وما يحتاجون إليه من عتاد ، يسبقهم فينو وسرور ، بينما اتخذ فصيح مكانه المفضل على كتف ليلى . . .

* * *

الفرصة الأخيرة

احتدم النقاش بين فرنسوا ورفيقيه ، سمعان ويوسف ، عقب انطلاق سيارة الأذكياء ، فقال فرنسوا بحدة مؤنباً .

ـ سمعان ! . . . ألن تكف عن هذه التصرفات الصبيانية ؟ . . لو لم يكونوا حديثي السن لاضطررت لإيقاع العقاب بهم ، بل قتلهم نتيجة لتصرفاتك الرعناء . . .

زاد يوسف بأن نبه رفيقه سمعان قائلاً :

ـ يجب أن تتعلم ضبط أعصابك . . . لقد كانت تصرفاتك مريبة للغاية . . .

وزع سمعان نظراته بين رفيقيه ، ثم أجاب بصوت يحمل رنة الأسى :

ـ إني أخاف الكلاب . . . هل نسيتما أنني كدت أُقتل بين أنياب كلب السيد فرنسوا المتوحش ؟؟

قال فرنسوا منهياً الجدل حول هذا الموضوع :

ـ كفى ثرثرة في هذا الموضوع . . . إعلما أن رحلتنا هذه ستكون

الأخيرة . . . يجب أن ننتهي من تنفيذ المهمة بسرعة . . .
سأله يوسف :
ـ كم بقي لدينا من الوقت . . .
أجابه فرنسوا على الفور :
ـ ثلاثة أيام . . . بقي على موعد حضور الطائرة ثلاثة أيام فقط . . .
ارتعد سمعان وهو يقول :
ـ أنا أخاف ركوب الطائرات . . . أرجوك دعني أرحل عن طريق البحر . . .
استشاط فرنسوا غضباً وقال بعنف :
ـ تخاف من الكلاب ، وتخاف ركوب الطائرات . . . أخبرني من أي شيء لا تخاف ؟؟ . .
لزم سمعان الصمت أمام ثورة فرنسوا العارمة ، بينما كانوا يتابعون سيرهم حتى وصلوا قرب الحديقة وتوجهوا مباشرة إلى المكان الذي ربطوا فيه رسن الحمار ، لم يلحظوا آثاراً تثير الريبة لديهم مع أن آثار أقدام فينو كانت واضحة ولافتة للنظر ، لقد كانوا في شغل بالنظر إلى الأذكياء ومراقبة تصرفاتهم ، بالأخص السيارة التي غادرها ركابها . . .
وفي محاولة لتقليل أهمية وجودهم قال فرانسوا :
ـ يبدو أنهم يتابعون رحلة الصيد التي حضروا من أجلها . . .

أجابه سمعان على الفور :

ـ وماذا يصطادون في هذه المنطقة ... لا أثر للطيور هنا ...

كانت ملاحظة سمعان بداية لشكوك في محلها ، ولكن فرانسوا اعتبرها ملاحظة غبية من سمعان الذي لم يعتد منه مثلها ، لذلك قال مبرراً تصرفهم وبسخرية واضحة :

ـ ولماذا لا يصطادون الأرانب البرية ؟؟ ..

نكس سمعان رأسه إلى الأرض ، فيما تناول يوسف رسن الحمار وحلّه من مربطه وبدأت رحلتهم تحت مراقبة شديدة من خالد الذي لم يفارقهم لحظة من خلال المنظار المكبر لديه ...

* * *

شواء بين الآثار

خرج خالد من السيارة ، بعد أن حدد الموقع الذي قصده الرجال الثلاثة ، ونادى المغامرين بأعلى صوته :

ـ هيّا بنا من هنا . . . وليد . . . عصام . . .

قبل أن يتم نداءه ، كان الثلاثة يتحلقون حوله برفقة السيرك المتنقل معهم ، وقبل أن يسأله أحدهم بادرهم خالد بالقول :

ـ لقد عرفت المنطقة التي يقصدونها . . .

وصرخت ليلى :

ـ وما العمل . . .

تبادلوا نظرات يفهمون معناها جيداً ، فقال عصام على الفور :

ـ هيا . . . فلنلحق بهم . . .

أسرعوا في الصعود إلى السيارة بعد أن وضعوا كل شيء في مكانه ، وشغل وليد محرك السيارة ، وقبل أن يتحرك بها قال خالد معترضاً :

ـ لا يا وليد . . . لن نلحق بهم الآن . . .

كانت نظراتهم تتجه نحوه مستفسرة ، فتابع يقول :

ـ سنمضي وقتاً قصيراً بعيداً عنهم . . . في أي مكان تختارونه . . .

كانت ليلى تنظر إليه بدهشة ، وقد استبد بها الفضول لمعرفة الخطوة التالية ، فسألته :

ـ هيه . . . وبعد ذلك ؟؟

زم شفتيه ، وقلب راحتيه ببساطة ، ثم قال بثقة :

ـ بعد ذلك . . . نختار مكاناً لمخيمنا بالقرب من منطقة الآثار .

أبقت بصرها معلقاً في وجه خالد وهي تتساءل :

ـ ولماذا اخترت هذه المنطقة بالذات ؟

ضحك وقال بتهكم :

ـ إنه مكان حالم . . . تصوري نفسك تعيشين بين الأقدمين ، بناة هذه الآثار . . . و . . .

قاطعته ليلى بحنق وقالت :

ـ خالد ، لا تسخر مني وإلاّ . . .

أراد خالد الابتعاد عن المواقف الانفعالية معها ، لذلك أجابها بهدوء وهو يبتسم :

ـ أنا لا أسخر منك . . . معاذ الله . . . كل ما في الأمر أنني أريد استعادة آلة التسجيل . . . أم تفضلين تركها للحمار هدية ؟؟ . . .

تدخل وليد في الحوار وقال بخبث :

ـ لنفرض أن الجهاز سجَّل سراً معيناً ، ولا أتوقع هذا ، ماذا سنفعل ؟؟

انتبه خالد لهدف وليد لذلك احتفظ برباطة جأشه وابتسم وهو يرد عليه بهدوء قائلاً :

ـ هذا يتوقف على نوع المعلومات . . . لماذا العجلة ؟ . . . بقليل من الصبر وحسن التدبير ستنجلي الأمور . . .

راقت الفكرة لليلى فقالت بعفوية وحماس :

ـ لماذا لا نذهب الآن فننصب خيمنا ، ونحضر طعامنا . . . إن هذا من الأمور الطبيعية التي لا تثير الشك عند أحد . . .

أيدها عصام على الفور مستحسناً الفكرة فقال :

ـ نعم الرأي . . . منطق سليم جداً لاسيما وأننا اصطدنا أربعة أرانب سمينة . . . إن تحضيرها وطهوها يستغرق بعض الوقت . . .

كان عصام يستعين بحركات يديه لشرح عملية تجهيز الأرانب ، فأثار ضحكهم وأدخل الفرح والسرور إلى نفوسهم ، وبعد بُرهة أعادهم وليد إلى الواقع عندما سألهم :

ـ لم أدرِ حتى الآن على ماذا استقر رأيكم ؟؟ .

تنفس خالد الصعداء وصار بإمكانه شرح وجهة نظره بهدوء ، فقال :

ـ لا لن نذهب تواً إلى هناك . . . لو حصل هذا لشكوا في أمرنا ، وربما فكروا أننا نتبعهم وأن لقاءنا بهم ليس مجرد صدفة . . . لذلك سأذهب برفقة سرور لمتابعة مراقبتهم ، فيما تزيدون أنتم من عدد الأرانب ، وهكذا نتيح لهم فرصة أطول للحديث وبالتالي نكشف نواياهم . . .

أجمعوا على الموافقة على رأيه وانصرف كل منهم إلى ما يريد القيام به ، فكان فينو يستروح آثار الأرانب فيدفعها للخروج من جحورها بين الكثبان الرملية والصخور الصلدة ، فتصبح هدفاً سهلاً أمام هؤلاء الصيادين المهرة . . .

كان سرور ليلى عظيماً هذا اليوم ، فقد أتاح لها غياب خالد استعمال بندقيته ، واستطاعت إصابة أول أرنب في حياتها ، فكانت مثار إعجاب الآخرين وثنائهم . . .

عاد خالد من رحلته جزلاً فرحاً ، فقد تحقق ظنه ، فطلب من الباقين الاستعداد للرحيل ، وتولى القيادة بدل وليد لأنه تعرف على الطريق القصيرة جيداً ، وقد اختار المكان المناسب لمخيمهم غير بعيد عن منطقة الآثار المقصودة .

أسكت محرك السيارة وقال :

ـ هنا سنقيم معسكرنا . . .

وبسرعة فائقة ، كانت أياديهم المدربة تجهز كل شيء ، وانهمك كل منهم بعمله يؤديه على أحسن وجه وبتعاون تام ، فيما انصرف فينو إلى مداعبة فصيح الذي كان يطير أمامه ويغرقه في بحر من الشتائم . . . أما سرور ، فقد راقه العمل في نصب الخيم ، لذلك بذل مجهوداً مشكوراً في مساعدتهم . . . وهنا تعالى صوت ليلى تقول :

ـ من سيشيد لنا الموقد ؟؟

أسرع وليد للقيام بهذه المهمة ، فيما قال عصام :

ـ أما أنا فسأحضر بعض قطع الحطب اللازم . . .

تمَّ كل شيء باتقان بينما كان خالد يبحث ، ويجدّ في البحث عن ضالته بين الآثار دون أن يعثر لهم على أثر . . .

عاود البحث من جديد ، بمساعدة فينو ، وكانت الشمس توشك أن تغيب مخلفة جحافل الظلام زاحفة لتسود المكان . . . واستغرقت عملية البحث أكثر من ساعة دون جدوى ، فلا أثر لفرنسوا ولا لرفيقيه أو حمارهم . . . ما العمل ؟؟ . .

استعانُ خالد في بحثه بالمنظار المكبر واستكشف المناطق البعيدة نسبياً ، فذهبت محاولاته كلها أدراج الرياح ، وأخيراً اهتدى إلى آثار لهم متشابكة لم يدرِ اتجاهها النهائي ، فانحنى على أذن فينو وقال كمن يخاطب إنساناً :

ـ فينو . . . إتبع . . .

وأرشده إلى آثار حوافر الحمار وأقدام الثلاثة الآخرين ، فقام فينو بعملية اقتصاص الأثر بنجاح ، فرفع رأسه بعد أن تشمم الأرض ملياً ، وهنا أدرك خالد أنه فهم المطلوب منه ، فلم ينسَ تكرار الطلب منه ، فقال :

ـ فينو . . . هيا وكن حذراً . . .

انطلق فينو يعدو بأقصى سرعة بين الآثار القديمة ، ومن وقت لآخر يغيب عن أنظار خالد الذي كان يتابع خط سير كلبه وهو يتشمم الأرض مقتفياً أثر الرجال الثلاثة وحمارهم ، وبعد برهة شاهده ينحرف شمالاً ومن ثم يختفي خلف الجدار المهدم للمعبد القديم . . .

أنزل خالد المنظار عن عينيه بهدوء وابتسم ، ولسان حاله يردد :
ـ لهذا السبب لم أعثر على مكانهم . . . لو كان لي حاسة شم مثل فينو !! . .
في هذه الأثناء ، كان فينو يختبر بأنفه الحساس الروائح التي خلفها فرنسوا وصحبه على الطريق التي سلكوها . . . مرت دقائق وخالد ينقل بصره بين حدَّي الجدار علَّه يظفر بكلبه الذي أثار مخاوفه باختفائه ، ولكن ها هو فينو يعدو بأقصى سرعته باتجاه خالد . . . فقد حان الوقت للتحرك، لا شك أن فينو قد اكتشف مكان وجودهم . . . وقريباً من السيارة ، دار فينو عدة دورات حول صاحبه ، وهو يهز ذيله جزلاً فرحاً ، فبادره خالد الذي انحنى ليستقبله بين ذراعيه ، قائلاً :
ـ فينو . . . هل وجدتهم . . . أنت تعرف مكانهم ولا شك . . .
استمر فينو في القيام بحركاته البهلوانية ، وحاول التحرك أمام خالد باتجاه الآثار ، عندها تأكد خالد من نجاح فينو في القيام بمهمته ، ولكنه بدل التحرك خلفه ، ناداه ليتبعه إلى حيث تتصاعد رائحة الشواء ، فقد كان أعضاء الفرقة منهمكون بتحضير الطعام ، ولما أحست ليلى بوجوده بادرته بالسؤال ساخرة ، ومؤنبة :
ـ أين كان صاحب الأفكار النيِّرة ؟؟ . . أما كان الأجدر بك الانتظار حتى يتم إعداد المائدة وتوجيه دعوة رسمية لسيادتك ؟؟ . . .
لم يكترث خالد لسخرية ليلى ، بل تعمَّد الجلوس بالقرب منها والابتسامة على ثغره وهو يقول :

ـ كنت في مهمة اشترك بتنفيذها هذا البطل . . .

وأشار على فينو الذي كان يلهث ويهز ذيله زهواً وخيلاء ، فتطلعوا إليه متسائلين بلسان ليلى التي قالت بدهشة :

ـ مهمة ؟ أية مهمة ؟؟ .. ظننا أنك غارق في النوم داخل السيارة . . .

احتفظ خالد بالابتسامة على شفتيه وهو يقول :

ـ غارق في النوم ؟؟ . . . لا . . . لا . . . كنت أتابع البحث عن زائرنا ومرافقيه . . .

نسي وليد الأرانب المحمرة أمامه ، وسأله بلهفة :

ـ وهل عثرت على مكانهم ؟؟

أجابه خالد على الفور :

ـ لم أوفق بالعثور عليهم بنفسي ، بل تكفل فينو بتنفيذ هذه المهمة ، وقد عاد منذ لحظات بعد أن عثر على مكانهم . . .

ظهر الاهتمام على وجوههم ، فقالت ليلى :

ـ ألم يعودوا إلى المعبد بعد رحلة نصب الفخاخ ؟؟ . .

أجابها ساخراً هذه المرة ، فقال :

ـ وهل صدقت رواياتهم ؟ . . . منذ الوهلة الأولى كنت أعتقد أنهم يكذبون . . .

تذكر عصام أمراً آخر ، فسأله باهتمام :

ـ وهل قررت الذهاب لاستعادة جهاز التسجيل ؟؟ . .

هز رأسه بالنفي ، وقال :

ـ هل نسيت يا عصام ؟ . . . ألم نذكر أننا سنكلف «سروراً» القيام بهذه المهمة ؟ . . .

وسأله وليد :

ـ ألن ترشده إلى مكانهم ؟

أجابه على الفور :

ـ لا . . . لن يظهر أحدنا قريباً منهم ، سيذهب سرور برفقة فينو . . . لا تنسَ أنه أهل للثقة في مهام كهذه . . . أليس كذلك ؟؟

سألته ليلى وهي تهمُّ بالقيام :

ـ ومتى ستكلفهما القيام بهذه الخطوة ؟؟

أجابها بثقة بعد برهة تفكير :

ـ سأنتظر حتى ينتشر الظلام . . . هل توافقوني في الرأي ؟؟

رددوا معاً عبارات الموافقة ، وانصرفت ليلى لاعداد المكان الذي سيتناولون فيه طعامهم ، ساعدها وليد ببسط قطعة من المشمع المخصص للرحلات ، وحمل عصام الأرانب المشوية ، فيما كان خالد يحضر الخبز و . . . بدأوا يتلذذون بالطعام الشهي . . . في غمرة هذه اللحظات ، لم ينسَ المغامرون كلبهم البطل ، فقذفوا إليه أرنباً كاملاً إضافة إلى ما انسلَّ من أياديهم من عظام . . . أما سرور فقد كان يتلذذ بالتهام وجبته المفضلة من الموز الذي يحرص المغامرون على تأمينه له ، بينما كان فصيح يراقبهم ويردد عبارات الإعجاب والرضى التي كان يقذفها كل منهم بين الفينة والأخرى . . .

سرور وفينو في مهمة ؟ . .

أمسك يوسف معولاً وانهال على أرض إحدى غرف المعبد الأثري يزيل التراب المتراكم ، فظهر تحت الركام طبقة من الإسمنت بالقرب من أحد الجدران ، فلما استعصى عليه إزالتها صرخ :

ـ سمعان ! . . إليَّ بالفأس فالاسمنت قاس جداً . . .

أسرع سمعان بإحضار الفأس وساعد رفيقه على تحطيم تلك الطبقة القاسية والتي زاد في صلابتها تقادم العهد ورطوبة المكان ، فضلاً عن تزويدها ببعض قطع الحديد مما جعلها من « الإسمنت المسلح » . . .

مضى وقت طويل وهما يزيلان تلك الطبقة ، وفرنسوا يراقبهما بقلق قبل أن تنفرج أساريره عندما ظهرت تحتها فجوة مظلمة . . . لقد تحقق لديه ما اطلع عليه من وصف لهذه البقعة بالذات ، ووفق الخرائط التي درس تفاصيلها جيداً . ولم ينسَ ، وهو في غمرة فرحه أن يطلب بلهجة آمرة :

ـ أين المصباح الكهربائي ؟ . . إليَّ به فوراً . . .

أحضر سمعان المصباح بسرعة وناب عن فرنسوا بتسليط نوره الباهر

على الفجوة فظهرت أمامهم عدة درجات لا أثر للتآكل عليها مما يظهر أنها لم تستعمل كثيراً ، ازدادت فرحة فرنسوا فتقدمهما وهو يقول :

ـ نجحنا . . . نجحنا . . . إلحقا بي بسرعة . . .

تناول المصباح الكهربائي من يد سمعان ، وهبط الدرجات الرخامية ، فيما حمل الآخران الأدوات اللازمة ودلفا خلفه في الفجوة . . .

توقف فرنسوا أمام أحد الدهاليز المتشعبة ، ووفقاً للإشارات السابقة التفت إلى اليمين ، وسار ثمانية خطوات ليتوقف من جديد أمام باب أحكم إغلاقه بطبقة مماثلة من الإسمنت ، فالتفت إليهما وقال محافظاً على نفس اللهجة الآمرة :

ـ أزيلا هذا الباب ، بسرعة . . .

استعان سمعان بمطرقة كانت معه ، فانهال ضرباً ، وبكل قوة ، على الطبقة الاسمنتية وساعده يوسف على إزالتها فانكشف أمامهم باب خشبي قديم الطراز متين الخشب . . .

تقدم فرنسوا منهما ، وأخذ يعالج القفل الذي علاه الصدأ بواسطة سكين الصيد التي يحملها على خصره . . .

حاول فرنسوا وكرر المحاولة برفق وتؤدة ، وأخذ العرق يتصبب من جبينه ، فقد فشلت كل محاولاته ، وبدت عليه علامات الاضطراب من هذا الفشل المتكرر ، فثار وابتعد عنه وسط ذهول رفيقيه اللذين لاذا بالصمت خوفاً من ثورته عليهما . . . التفتا إليه فبدت لهما

نظراته النارية الغاضبة وهو يقول :

ـ حطماه ! . . حطما هذا الباب فوراً . . .

تعاون يوسف وسمعان ، كل من ناحية ، على تحطيم خشب الباب المتين ، فتناثرت قطع الخشب الصغيرة تحت تأثير ضربات فأس سمعان ومطرقة يوسف التي كانت تحدث دوياً خاصاً في أرجاء المكان ، . . وبعد جهد وعناء كبيرين نجحا في تحطيم الباب جزئياً ، فظهرت خلفه غرفة مظلمة أظهر نور مصباح فرنسوا شكلها المربع . . .

وقفوا والدهشة تعقد ألسنتهم أمام البريق الخاطف الذي انبعث عندما سلط فرنسوا نور مصباحه على إحدى الموائد العديدة . . . وهتف بذهول :

ـ يا للروعة ! ؟ . . يا للروعة ؟ !

تقدم فرنسوا ، وهما يتبعانه ، إلى مائدة من الرخام تتوسط الغرفة ، وعليها يقبع بشموخ تاج بديع الصنع من الذهب الخالص ، وقد رصع بالكثير من الأحجار الكريمة المتعددة الألوان . . . من الياقوت والزمرد والمرجان والعقيق . . .

مدَّ فرنسوا يده بالمصباح ، فتناوله منه يوسف بسرعة ، وببطء وهدوء كبيرين ، مد فرنسوا يديه المرتعشتين ناحية التاج يحمله من مكانه وهو يقول :

ـ رائع . . . رائع . . .

مرت لحظات من الانبهار والدهشة استفاق بعدها فرنسوا ليقلب



ناظريه في أرجاء المكان . . . وبلهجة آمرة صرخ وهو يشير إلى صندوق خشبي حُفرت على جوانبه نقوش بديعة :

ـ حطما هذا الصندوق . . .

تقدم سمعان من قفل الصندوق، وعالجه بطريقته الخاصة وما هي إلا دقائق حتى انفرج باب الصندوق عن مجموعة من الجواهر والحليّ الذهبية وغير ذلك من القطع النادرة والغالية الثمن . . .

يبدو أن فرنسوا ورفيقيه قد تآلفوا مع الدهشة ، فأصبحوا يتصرفون وكأن الأمر طبيعي بالنسبة إليهم . . . فلا مجال للتردد ، بل يجب الانتهاء بأقصى سرعة ، لهذا السبب كانت نظرات فرنسوا تجوب أرجاء الغرفة بحثاً عن أي شيء آخر يضيفه إلى هذا الكنز الضخم الذي حظي به ، وبين الحين والآخر يستعين بكتاب وخريطة كان يحملهما معه ، ولما تأكد من خلو المكان تماماً ، وأنه لا يوجد سوى هذا الصندوق وهذا التاج الفخم ، قال :

ـ هيا . . . أسرعا في نقل محتويات هذا الصندوق إلى الأكياس التي أحضرناها . . .

كانت نظراتهما البلهاء ترميه من كل صوب ، عندما تابع :

ـ يجب نقل هذه الثروة إلى مكان أمين بعيد عنا فلا يجب الاحتفاظ بها معنا خاصة إذا صادفنا رجال الأمن في منطقة الحدود . . .

كان بريق الجواهر الذي يخطف الأبصار قد زودهم بقوة دافعة غريبة ، فنسوا التعب والجهد الذي بذلاه في إزالة طبقات الاسمنت

وتكسير الباب ، . . . لذلك كانت حركاتهما خفيفة ، خصوصاً سمعان ، الذي استخفه الطرب فرفع عقيرته بالغناء جزلاً . . .

أنهيا ما طلبه منهما فرنسوا بسرعة ، ورفعا الأكياس المتينة النسج إلى أرض المعبد تمهيداً لوضعها على ظهر الحمار الذي ينتظرهم هناك . . . حمل كل من يوسف وسمعان كيسين، فيما كان التاج من نصيب فرنسوا الذي خصه بكيسٍ وحده ، فسار أمامهما وقال :

ـ الآن . . . هيا اتبعاني . . .

ابتعدوا عن المكان يجرون الحمار بينهم ، كأنما يشكلون له حماية ، ولا عجب ، إن ما يحمله لا يقدر بثمن . وكان فرنسوا يتقدمهما فاختار منطقة رملية مميزة ، يسهل عليه الإهتداء إليها ، وبالتالي لا يكابدون في حفر أرضها وإخفاء ما حملوه في جوفها ، وقف ، وقال آمراً :

ـ هنا ! . . . إحفرا هنا وبسرعة . . .

كان النهار قد شارف على نهايته ، ومالت الشمس نحو الغروب ، وبدأت أشعة النور تتراجع أمام جحافل الظلام التي شرعت تشن هجومها البطيء ، أخرج فرنسوا من وسطه مسدساً كان يخفيه بإحكام تحت ثيابه ، فحصه بعناية تامة ، فيما كانت عيناه تجوسان خلال المكان وبكل اتجاه ترقباً ، وتحسباً لأية مفاجأة . . .

كان فرنسوا يرقبهما وهما يلهثان ، والعرق يتصبب من جبينيهما قبل الانتهاء من إعداد الحفرة بما يتناسب مع حجم الأكياس ، وبسرعة

أودعوا في جوفها الأكياس بعد تغليفها بأكياس من النايلون ، وأهالوا عليها الرمال .

تنهد فرنسوا بارتياح وقال :

ـ والآن ... انصبا الخيم ... لن نرحل قبل يومين ...

ولما بادلاه نظرة مستفسرة تابع يقول :

ـ لن نتحرك من هنا قبل وصول الطائرة المخصصة ...

أخذا قسطاً من الراحة قبل إعداد الخيم ، وجلسوا يتناولون طعاماً قوامه بعض المعلبات ، وبعدها خلدوا إلى الراحة ، فنعموا بلحظات استرخاء تغمرهم السعادة ، وتداعب مخيلاتهم الأحلام الوردية ...

كان التعب قد نال منهم جميعاً ، فلم يمضِ وقت قصير حتى كانوا يغطون في نوم عميق ، وليتهم ما ناموا . فقد كان سرور وفينو لهم بالمرصاد ، وما هي إلاَّ لحظات حتى برز رأس سرور من خلف أحد الكثبان الرملية ، يرافقه فينو الذي كان يسهر على توفير الأمن والسلامة لرفيقه ، وكذلك يسترشد بحاسة الشم القوية عنده على المكان الأخير للرجال الثلاثة وحمارهم ...

كان سرور يسير بحذر واختار أقرب مكان يقفز منه على ظهر الحمار الذي جفل وانتابه الذعر ، فزفر بصوت مسموع ، ولكن القرد الذكي ، كان خفيف الحركة ، ولم يثر الحمار أكثر ، فسحب جهاز التسجيل من مكانه ، وعاد ، بخفته المعهودة ، أدراجه ، يرافقه فينو ، إلى خالد ورفاقه .

تم كل شيء بسرعة لم يتمكن معها فرنسوا من ملاحظة أي شيء غريب ، فقد انصرف الحيوانان قبل أن يستفيق شاهراً مسدسه وعيناه تبحثان خلال الظلام عن شبح . . . فقد ايقظه نهيق حماره الذي تعالى بعد رحيل الكلب والقرد معا ، فلم ينفع فرنسوا مصباحه الكهربائي الباهر النور في العثور على سبب ذعر حماره ، فعاد إلى الخيمة وهو يقول ساخطاً :

ـ لماذا ايقظنا هذا الحمار اللعين ؟ ؟ . لم أر شيئاً . . .

أجابه يوسف الذي لحق به إلى خارج الخيمة :

ـ لا بد أنه أحس بمرور حيوان إلى جواره فجفل . . .

ومرة أخرى ، عادوا إلى النوم كأن شيئاً لم يكن . . .

* * *

مغامرة جديدة

كان المغامرون يتحلقون حول النار من جديد ، عندما وصل فينو وسرور دون أن يشعر بوجودهما أحد لانهماكهم بالضحك إثر طرفة حدثهم بها عصام ، وفجأة هب خالد مذعوراً عندما لامس سرور رقبته ولكن خوفه تبدد عندما رآهما خلفه ، وتحول إلى سرورٍ وفرح ، فقال خالد :

ـ سرور ؟ . . هل أحضرتها ؟؟

بهدوء وزهو ، مد سرور قائمته الأمامية لخالد وناوله جهاز التسجيل ، فاختطفه بلهفة وسرعة ، وأعاد الشريط من أوله وأنصتوا جميعاً إلى ما حمله لهم .

مضت ساعتان كانوا يتتبعون خلالهما ما دار من حديث بين الرجال الثلاثة ، فابتسم خالد وفرك يديه فرحاً وقال مؤكداً :

ـ أرأيتم ؟؟ لم أكن مخطئاً في الحكم عليهم . . .

سألته ليلى باهتمام :

ـ ما العمل الآن ؟؟ . . .

حك خالد جبينه ، وقطب حاجبيه ، وبعد برهة أجاب بهدوء :

ـ وهل أمامنا سوى القبض عليهم وحمل هذا الكنز لأقرب مركز للشرطة ؟؟

هرش وليد رأسه ، وسأله :

ـ كيف ستتصرف إذا تنبهوا لوجودنا ؟؟ . . .

نظر إليه خالد باهتمام وأجاب بمنتهى الهدوء :

ـ لا عليكم . . . الآن علينا المباشرة بالتنفيذ فوراً وبحذر . . . لا شك أنهم نيام بعد المجهود والإرهاق اللذين بذلوهما أثناء النهار . . .

عقب عصام على حديث خالد بقوله :

ـ إن هذا الوضع يسهل لنا تنفيذ عملنا بسرعة ، والتغلب عليهم في حالة القيام بأي تصرف أحمق . . .

ضحك خالد وقال مداعباً :

ـ صحيح يا عصام . . . إنها فرصة ذهبية بالنسبة لك لمداعبة صديقك اللدود سمعان . . .

ضحكوا جميعاً ، فيما قال وليد :

ـ أما أنا فيكفيني مداعبة يوسف . . . سرور ! . . . هل تساعدني ؟؟

تدخلت ليلى لتقول :

ـ أكيد سيتولى خالد أمر فرنسوا . . .

أجابها خالد بثقة :

ـ طبعاً ، وسوف يساعدني فينو بالقيام بهذه المهمة . . . هل نسيتِ

أنه الوحيد الذي يحمل سلاحاً بينهم ؟؟ . . .

وافق عصام على قول خالد ثم قال متابعاً :

ـ صحيح . . . إنه يكون في منتهى الغباء لو سلم السلاح لهذين الوحشين . . . خاصة سمعان هذا ! . . .

ارتفع صوت ليلى محتجة وهي تقول :

ـ هذا يعني أنني خارج اللعبة . . . أليس كذلك ؟؟ . . .

ارتفعت ضحكاتهم عقب جواب وليد الذي قال لها :

ـ تولي أمر الحمار . . .

صاحت محتجة ، واقتربت منه لتلقنه درساً بقرصة من يدها ، وهي تضغط على أسنانها غيظاً وحنقاً ، ولكن صوت خالد أوقفها وهو يطيب خاطرها بقوله :

ـ ومَن سيتولى تقييدهم ؟؟ أم أنك تنسين ما ينتظرك ؟؟

ثم التفت إليهم جميعاً وقال :

ـ الآن هيا قبل فوات الأوان . . .

حمل كل منهم الأداة التي يحتاجها ، وتأكد من صلاحيتها للعمل ، وساروا باتجاه الكنز المخبأ ، . .

تقدم الكلب الذكي فينو الموكب ، يقفز إلى جواره سرور ، وتبعهما الآخرون ، أما فصيح الذي يخاف الظلام فقد قبع صامتاً على كتف خالد . . .

وصلوا إلى المكان المقصود ، وعن بعد ، لاحت لهم حدود الخيم



المضروبة ، فاقتربت رؤوسهم بعضها من بعض ليتسنى لهم سماع كلمات خالد وهو يهمسها في آذانهم ، تفرقوا بعدها ليقوم كل منهم بالدور الذي رسمه له خالد . . .

وقفت ليلى بعيداً وحملت بعض الحصى تقذف الخيم بها ، فيما توزع الثلاثة يرافقهم سرور وفينو على بابي الخيمتين . . .

كانت الخطة على بساطتها ناجحة وأعطت نتائج جيدة لأنها مدروسة بدقة ، وتم كل شيء بسهولة غير متوقعة ، فقد قام كل فرد منهم بالدور المرسوم له خير قيام . . . ووقع الكهنة المزيفون في قبضة المغامرين وتولت ليلى تكبيل أيديهم وأرجلهم بقوة ، جلسوا بعدها ليأخذوا قسطاً من الراحة فقال خالد بعد برهة :

ـ وليد . . . إذهب مع سرور وأحضر السيارة إلى هنا . . .

ذهب وليد وترك الآخرين يحفران في المكان الذي أرشدهم إليه فينو مستعيناً بحاسته القوية ، وتوالى الكشف عن الأكياس الأربعة مع وصول وليد بسيارته ، وذهلوا جميعاً أمام ما وجدوه بداخلها ، فصاح عصام :

ـ إنها ، فعلاً ، ثروة ضخمة . . .

تولى فينو حراسة المزيفين الثلاثة برفقة ليلى التي كانت ترقب انفعالاتهم وتقرأ الحقد والإجرام في نظراتهم وفي تعابير وجوههم ، فلما تناهى إليهم صوت عصام يعبر عن دهشته ، زمجر فرنسوا بيأس قائلاً :

ـ فكوا القيود من يدي ولنتقاسم كل شيء !! . .

أحاطوه بنظرات ساخرة تبعها صوت خالد وهو يقول :

ـ أيها الدجال الحقير . . . أيها المزيف . . . كيف تجرؤ على عرض هذا الاقتراح ؟؟

كان رد ليلى حاسماً عندما قالت :

ـ وهل تنتظر من رجل ينتحل صفة رجل دين ليحقق مآربه تصرفاً أقل حقارة ؟؟ . . .

خرج فرنسوا عن صمته وقال ، غير مكترث بما يسمع :

ـ لا تتحامق أيها الفتى . . . ولا تكن جشعاً فالحصة التي ستنالونها تشكل ثروة ضخمة . . .

نظر خالد إلى وليد ، الذي كان يجمع قبضة يمناه ، وقال له :

ـ وليد ! . . . أيرضيك سماع هذا الحديث ولا تبادر إلى تحطيم فك هذا المغرور القذر ؟؟ . . .

لوح وليد بقبضته الفولاذية ونظر إلى فرنسوا وأجاب :

ـ بالطبع لا . . . لذلك أسألك السماح بفك قيوده حتى أصفي العملية معه على طريقتي . . .

وقهقه ضاحكاً ، بينما كان الألم والحقد يعتصران فؤاد ذلك المجرم الحقير ورفيقيه ، فقال باستسلام ، وإن حفرت علامات اليأس القاتل خطوطها على وجنتيه :

ـ لقد حطمتم كبرياءنا بتصرفكم هذا . . . فلا بأس لو قضيتم علينا نهائياً . . .

كان صوته يقطر مرارة وأسى ، فأحست ليلى بالاشفاق على كيان الانسان الذي بداخله ، فقالت مؤنبة :
ـ لم يحطمك أحد ، بل أنت من حطم نفسه وحطم رفاقه . . . لماذا سلكتم درب الشر والرذيلة ؟؟ هل هناك أحط من مهنة السرقة تحترفونها ؟؟ . . .
عقب عصام على حديث ليلى بقوله :
ـ سرقة من ؟ . . مال الشعب ؟ تراث أمة تعتز بماضيها وأمجادها . . . إنكم تسرقون تاريخ شعبنا ومعالم حضارته وليس ثروته المادية فقط . . .
تابع خالد حديث ليلى وعصام فقال :
ـ وتنتظرون منا خيانة أمتنا والقبول باقتسام هذه الثروة معكم؟؟؟ يا لكم من أوغاد . . .
طأطأ فرنسوا ورفيقاه رؤوسهم ، قبل أن يرفعه ليقول :
ـ ماتقولونه صحيح . . . ومع هذا ألا يمكن التفاهم فيما بيننا ؟؟
حدجه خالد بنظرة نارية ملتهبة وقال :
ـ تفاهم ؟؟ وماذا تريد ؟؟ . . .
تأمل فرنسوا خيراً من جواب خالد لأنه يجهل ما يرمي إليه الفتى الذكي ، فتشجع ليقول :
ـ بإمكانكم الاحتفاظ بكل الذهب والمجوهرات . . . واتركوا لنا التاج . . . فقط التاج . . .
تبادل الأذكياء نظرات دهشة متسائلة لإصراره الغريب على إتمام

عملية السرقة، فتقدم منه خالد ولوح بقبضته أمام وجهه وهو يقول محذراً :
- إسمع يا هذا ! . . إن استمرارك على دعوتنا للاشتراك في عملية السرقة لتراث وثروة وطننا يظهر حقارتك وعراقتك في مجال السرقة . . لذلك أنصحك بالكف عن هذا الهراء حرصاً على سلامتكم جميعاً ، فقد بدأ صبرنا ينفذ ، ولن نقبل تماديك بتوجيه الإهانة تلو الإهانة إلى أمانتنا وصدق وطنيتنا . . .
تراجع خالد قليلاً ، فيما كان فرنسوا يحاول تجميع نفسه تفادياً لأية ضربة أو لكمة يوجهها خالد الغاضب إلى فكه ، فقالت ليلى بجرأة :
- خالد . . . لننه هذه المهزلة فوراً . . .
انتبه خالد إلى طلب ليلى ، فوافق فوراً على هذا الاقتراح ، عندما نظر إلى وليد ليقول :
- افتح الصندوق في مؤخرة السيارة .
ثم تابع بصوت عالٍ :
- لن تتسع السيارة لنا جميعاً ، وهذه الأكياس تشكل وزناً إضافياً . . . لذا سنحمل معنا فرنسوا فقط بينما يبقى يوسف وسمعان هنا بانتظار من ترسله أجهزة الأمن لاصطحابهما . . .
تمَّ نقل الأكياس ، بسرعة ، إلى السيارة التي أصعدوا فرنسوا إليها ، وجلس وليد خلف عجلة القيادة وإلى جانبه ليلى ، فيما أحاط خالد ، وقرده الذكي سرور بفرنسوا المزيف في المقعد الخلفي ، وقبع فصيح ، كعادته ، على كتف ليلى ، بينما بقي عصام مع اللصين الآخرين يؤازره كلبه الأمين الشجاع ، فينو . . .

سرور يتولى معاقبة المجرم

ما أن تحركت السيارة قليلاً حتى بدأ عذاب فرنسوا بداخلها ، فقد أحس بأنامل سرور تعبث في خصلات شعره الأشقر الذهبي اللون ، وتدغدغ رقبته ، وبخفة متناهية ، وفيما كان فرنسوا يتململ متضايقاً ، جذب سرور خصلة من شعر اللص ، بقوة ، فانتفض في مقعده صارخاً بشدة ، من الألم . . . ضغط وليد بعزم على فرامل السيارة ونظر في المرآة يستطلع ماذا يجري خلفه ولكنه تابع سيره وانفجر ضاحكاً دون أن يعلق على ما حدث . . . أما خالد ، فقد بغت هو الآخر ، فنظر ناحية فرنسوا المزيف وسأله بقوله :

ـ ماذا حصل ؟؟ لِمَ هذا الصراخ ؟؟ . . .

لم ينتظر خالد إجابة فرنسوا ليعرف السبب ، فقد لمح شماتة سرور خلف رأس فرنسوا ، وحركاته البهلوانية ، وصراخه المميز ، وهنا تناهت إلى سمعه كلمات فرنسوا وهو يردد بحنق :

ـ لقد نزع الشعر عن فروة رأسي . . .

ارتسمت على شفتي خالد ابتسامة رقيقة قبل أن يقول :

ـ سرور . . . كفاك مداعبة . . . لا تشد شعره مرة أخرى . . .

انكمش سرور على نفسه معلناً أسفه ، ولوى عنقه وأظهر علامات المسكنة على محياه وفي حركاته . . . لكنه قرر متابعة اللعبة التي استهوته ، وأراد أن يلقن هذا اللص المحتال درساً بالتعذيب جزاء ما اقترفت يداه بحق وطن صاحبه خالد ، بل وطنه هو ، فامتنع للحظات عن العبث بشعر فرنسوا الذي تنفس الصعداء للتخلص من هذه المضايقة . . . ولكن ، ها هو سرور يعود من جديد إلى ممارسة لعبته ، وليعود معها فرنسوا إلى الصراخ من جديد هو الآخر . . . ثم قرر سرور الكف نهائياً عن شد شعر اللص تنفيذاً لطلب خالد ، ولكن ليمارس هواية أخرى . كان يتحين فرصة انشغال الجميع عنه ليمد يده إلى أذن فرنسوا ويقرصها بقسوة ليفلتها بعدها بسرعة وخفة ، ويلتفت ناحية النافذة كأنه لم يفعل شيئاً . . . فاعتقد خالد أن اللص يكذب ، ولكنه كان يعرف حركات سرور ، لذلك تحين هو الآخر الفرصة للإيقاع بسرور متلبساً بالجرم المشهود ، فأمسك به وهو يشد أذن الكاهن المزيف وقال :

ـ أمسكتك . . .

فوجىء سرور بهذا التصرف لكنه تغلب على حرجه بدهاء ، فقد تظاهر بمداعبة فرنسوا فعلاً ، ومسح يده بخفة وحنان على رأسه يربت عليه ، وكأنه صديق قديم ، حيال هذا التصرف الذكي ، انفجر وليد وخالد ضاحكين ، وسط حنق وضيق فرنسوا الذي كان يلعن الساعة التي وضعته في هذا الموقف الحرج والمهين . . .

في المخفر . . .

انتهت الرحلة أمام أحد مخافر الشرطة ، فترجل خالد وبلمح البصر اختفى داخل المبنى ليلتقي بالضابط الشاب المسؤول عن حفظ الأمن في المنطقة . تقدم بثقة وعنفوان ، وباحترام جم ألقى التحية ثم قال :

ـ أريد الإبلاغ عن حادث سرقة . . .

نظر إليه الضابط من أعلى رأسه حتى أخمص قدمه ، واتسعت عيناه دهشة وسأله :

ـ حادث سرقة ؟ نعم . . . إني أسمع . . . تكلم . . .

بهدوء ورزانة ابتدأ خالد بالحديث قائلاً :

ـ أمسكنا بثلاثة لصوص ينهبون كنزاً أثرياً . . .

رفع الضابط رأسه ، وترك القلم من يده وأمسك عن تدوين أقوال الفتى ، ونظر إليه بريبة وشك وهو يقول :

ـ أمسكتم ؟؟ . . كنز ؟ . . ماذا تقول أيها الفتى ؟؟ . . .

أشار خالد بيده إلى الخارج وقال :

ـ إنها معنا في السيارة . مجموعة مجوهرات ثمينة ونادرة وتاج مرصع

بأنواع الجواهر ، ورئيس العصابة . . .

تغلب الضابط على دهشته وسأله :

ـ أينها ؟؟

تابع خالد :

ـ إنها بانتظار أوامر حضرتك . . .

أعجب الضابط بثقة خالد بنفسه ، وتوسم الصدق في حديثه ، فخرج معه لينظر الصيد الثمين الذي يحمله هذا الفتى الشهم ، وبعد أن ألقى نظرة على محتويات الأكياس وعلى اللص فرنسوا ، قال :

ـ عمل رائع . . . إنه عمل رائع أيها الفتيان . . .

تبادل خالد مع ليلى ووليد نظرات الإعجاب ، وقال :

ـ لم نقم بالعمل وحدنا ، يا حضرة الضابط . . . هناك ابن عم لنا آخر مع اللصين الآخرين بحراسة كلبنا فينو الذي شارك مع سرور البطل بكشف هذه القضية . . .

تساءل الضابط :

ـ سرور !؟ . . ومن هو سرور ؟؟ . .

كان سرور يقفز من السيارة ويقوم أمامه ببعض الحركات البهلوانية ، عرف الضابط من خلالها أنه المقصود بالاسم ، فضحك ملياً ، وأصدر أوامره لبعض رجال الأمن الذين تحلقوا حوله بتوثب وحماس ، لينقلوا الأكياس إلى الداخل ، وتولى بنفسه سوق فرنسوا إلى سجن المخفر غير آبه بصرخاته الهستيرية مردداً :

ـ لا يحق لكم معاملتي بهذه القسوة وإهانتي على هذه الصورة ، أنا سائح محترم . . . فكوا قيودي وإلاَّ تكفلت سفارة بلادي بالأمر ! ! .

ابتسم الضابط بذكاء وهو يتأمل وجوههم ، ثم أمر بإحضار مقاعد لهم فجلسوا كلهم ، وأشار إلى أحد رجال المخفر على فرنسوا وقال :

ـ حلَّ وثاقه . . .

لم ينتظر اللص اللعين حتى ينتهي رجل الأمن من عمله ، فقد استأنس بتصرف الضابط واعتقد أن كلامه أقنعه ، فنظر إلى الأذكياء نظرة حقد ولؤم وقال وقد تحررت يداه :

ـ من أنتم حتى تقبضوا على سائح حضر في زيارة إلى بلادكم ؟؟ هل هكذا تعاملون السائحين ؟؟

ثم التفت إلى الضابط وتابع حديثه بصوت مرتفع ولهجة آمرة :

ـ أثبت الوضع الذي رأيتني عليه في المحضر . . .

توقف عن الحديث عندما لمح في عيني الضابط الشاب نظرة صارمة وعندما سمعه يقول بنبرة قاطعة :

ـ سأجري معك تحقيقاً رسمياً . . . عندها تقول ما تريد وكله يدون في المحضر . . . تستطيع أن تقول ما تشاء . . .

قاطعه فرنسوا ليقول بوقاحة :

ـ تحقيق ؟؟ . . . أي جرم اقترفت حتى تجري تحقيقاً معي ؟؟ . . .

بمنتهى الهدوء ، وقد رسم ابتسامة ساخرة على ثغره ، أجابه الضابط

وهو يشير على الأكياس بقلمه :

ـ بتهمة سرقة محتوى هذه الأكياس !! . . .

أجابه بصفاقة ولؤم وبرودة أعصاب متناهية :

ـ ماذا ؟ . . . لا علم لي بهذه الأكياس وبما تحتوي . . . سلهم من أين حصلوا عليها . . . ما شأني أنا بالأمر ؟؟ . . .

ضحك خالد ووليد ملياً ، فقد كان متوقعاً أن ينكر فرنسوا ورفاقه معرفتهم بالأمر كله ، لذلك وقف خالد ، وأخرج من جيبه شريط التسجيل ووضعه أمام الضابط وهو يقول :

ـ لا يهم ما يقوله هنا . . . لدينا تسجيل واضح للحديث الذي دار بينه وبين زميليه عن هذا الموضوع . . . ولكن اعذرني يا حضرة الضابط ، فأنا لا استطيع تسليمه إلا لوالدي . . .

اتسعت حدقتا الضابط الشاب ، وقطب حاجبيه وقال مستنكراً :

ـ والدك ؟؟ ما شأنه بما نحن فيه ؟؟

أجابه خالد باعتزاز وثقة :

ـ إنه المفتش جميل ، في إدارة المباحث العامة . . .

تهلل وجه الضابط ، وقال بفرح :

ـ حقاً ؟؟ انت ابن المفتش جميل ؟؟ . . . لا شك أن هذا الشبل من ذلك الأسد . . .

تبادل وليد وخالد نظرات الفخر ، فيما كانت عيون فرنسوا تنتقل بينهما وبين الضابط الذي تابع يقول :

ـ . . . سأجري مع سيادة المفتش اتصالاً في الحال . . .

ورفع سماعة الهاتف ، وطلب الاتصال بالمفتش جميل ، وكان لا يزال في مكتبه ؛ بعد لحظة صمت ، ارتفع طنين جهاز لاسلكي في زاوية المكتب ، فضغط الضابط على أحد الأزرار وسمعوا صوت المفتش جميل يقول :

ـ آلو . . . من المتحدث ؟؟

كان مكبر صوت اللاسلكي ينقل الحوار بوضوح ، فكانت فرحة خالد عظيمة بسماع صوت والده ، وظهرت علامات الارتياح والرضا على وجه أفراد الفرقة فيما كان الضابط يجيب :

ـ الملازم حسني جمال ، سيدي ، من نقطة حرس الطريق ٧٩ . . . سيادة المفتش ، نجل سيادتكم عندي هنا . . .

قاطعه المفتش جميل ، وعلى ما يبدو ، فقد استولت الدهشة عليه ، فعبَّرت عنها كلماته ونبرة صوته حين قال :

ـ ابني خالد ؟ . . . ماذا به ؟ . . . هل ارتكب أية مخالفة أو أصابه أي مكروه ؟؟

أجابه الضابط على الفور مطمئناً :

ـ لا يا سيدي ، لا شيء مما توقعت ، كل ما في الأمر أنه ، مع رفاق له ، ضبطوا كمية كبيرة من المجوهرات الأثرية ، وقبضوا على أفراد العصابة التي كانت تريد الاستيلاء عليها . . .

يبدو أن هذه الأنباء زادت من دهشة المفتش جميل ، فسمعوا صوته يقول :

ـ سأحاول الحضور بأقصى سرعة . . . هل عندك أحد الأولاد لأتحدث إليه ؟ . . .

وقبل أن يسمع إجابة الضابط حسني ، كان يقول :

ـ صفوة . . . اطلب مطار الشرطة فسوف نقوم برحلة إلى الصحراء مع قوة كافية . . . بسرعة . . .

ولما أنهى حديثه سمع صوت خالد يلقي التحية عليه ، فأجابه ، ونبرة الفرح تنبعث من كلماته ؟

ـ خالد !! . ما هذا ؟ . . هل قمتم بتنفيذ مغامرة جديدة ؟؟ . . .

أجابه خالد بفرح كبير ، وتواضع جم :

ـ يبدو أن المغامرات تنتظرنا حيث نتوجه . . .

سأله المفتش باهتمام :

ـ وهل أصاب أحدكم أي مكروه ؟ . . .

أجابه على الفور :

ـ جميعنا بخير . . . لا تقلق .

أنهى المفتش حديثه عندما قال :

ـ انقل تهاني الحارة للجميع ، . . . سنكون عندكم خلال نصف ساعة على الأكثر ، إن شاء الله . . .

وقبل أن يقفل الجهاز ، سمعوه يحاور المفتش صفوت قائلاً :

ـ هل تم تحضير كل شي ؟؟

أجابه المفتش صفوة باهتمام :

ـ نعم يا سيدي ! . . . ولكن ما الأمر ؟؟ . . .

ضحك المفتش جميل وقال :

ـ الأولاد ، كالعادة ؛ قاموا بتنفيذ مغامرة جديدة . . . يا لهم من شياطين . . .

وعادوا إلى قواعدهم سالمين

حاول فرنسوا الإنكار من جديد ، فتقدم خالد من الملازم حسني وسلمه الشريط المسجل وبدأوا بالاستماع إلى ما دار بين أفراد العصابة من حديث ولكن الملازم أوقف الجهاز عند حضور المفتش جميل الذي ذهل من ضخامة كمية المسروقات المضبوطة ، وخصوصاً التاج الأثري الفخم ، فلم يسعه إلاَّ تقبيل خالد ورفاقه الذين أحضر بقيتهم الملازم حسني من مكان الحادث ، فقال المفتش لهم :

ـ أهنئكم يا أولاد . . . فعلاً إنه عمل رائع يدعو للفخر والاعتزاز بكم . . .

لم ينس خالد فضل حيواناته ، فأشار إليهما وقال :

ـ هما وحدهما أبطال هذه المغامرة . . . لولاهما لما ضمنا النجاح . . .

هتف فصيح من على كتف ليلى :

ـ سرور بطل . . . فينو بطل . . . فصيح بطل . . .

ضحك الجميع من إقحامه نفسه معهما في مهرجان النصر ، مما أثار سخط سرور الذي هرول ناحيته ليلقنه درساً قاسياً جزاء كذبه وتزويره

للحقائق ، لولا تدخل خالد السريع لحسم الموقف والحيلولة دون نشوب النزاع المعتاد ، وهنا التفت المفتش جميل إلى سرور وقال :

ـ لماذا يا سرور ؟؟ . . . أليس صديقك ؟؟ . . .

تولى خالد الإجابة وسط حركات سرور الرافضة وبعنف ، فقال :

ـ في الواقع ليس لفصيح أي دور في هذه المغامرة ، لذلك ثار سرور إثباتاً لتفرده ، مع فينو ، بالبطولة . . . .

ضحك المفتش ، ثم التفت ناحية فرنسوا القابع في الزاوية البعيدة وقال بلهجة آمرة صارمة :

ـ ما اسمك ؟؟ . . . ومن أي بلد أنت ؟؟ . . .

حاول فرنسوا الظهور بمظهر المظلوم ، المعتدى عليه ، فقال بلهجة تمثيلية يجيدها اللصوص المحترفون :

ـ سيدي الضابط . . . لا علم لي بما يحدث . . . هذا عمل غير لائق مع سائح قصد بلادكم لجمالها ولروعة آثارها . . .

قاطعه المفتش جميل وقال له بحزم :

ـ هل تريد منا التغاضي عن جريمتك النكراء هذه ، وسرقة آثارنا وثروتنا ، بل جزءاً من تاريخنا . حتى لو انتحلت صفة سائح يزور بلادنا كما تدعي ؟ . . . على كل تستطيع قول كل ما تريد أثناء التحقيق . . .

تدخل الملازم حسني ليحسم الحوار عندما قال ؛

ـ إذن إسمع سيدي . . .

وأدار جهاز التسجيل . . . فكان الصوت واضحاً ، والحوار لا يحتاج

إلى تعليق ، فيما كان فرنسوا يتململ في مكانه ، وتتسع حدقتا عينيه رعباً وهلعاً ، بينما التفت المفتش جميل إلى خالد وقال :

ـ كيف حصلتم على هذا ؟؟ . . .

ضحك خالد ، ونظر ناحية سرور وقال بفخر :

ـ سله يجبك . . . فهو صاحب الفضل ، وعنده الخبر اليقين . . .

انهارت مقاومة فرنسوا ورفيقيه كلياً أمام هذه الأدلة الدامغة ، فأدلوا باعتراف كامل ، وهنا اطلع المفتش جميل على سير التحقيقات وعرف ما تم منها ، ثم التفت إلى الملازم حسني وقال له :

ـ سيبقى المفتش صفوة هنا ، مع قوة إضافية لبعض الوقت ، وعليكما إرسال بعض الرجال لإتمام القبض على بقية أفراد العصابة القادمين بعد يوم أو يومين كما سمعتم ، . . .

ثم التفت إلى المفتش صفوة وقال :

ـ أصدر الأوامر بنقل اللصوص مع المسروقات إلى الطائرة ، فلن نفرط في ثروة كهذه بإرسالها عن طريق البر . . .

ولما همَّ بمغادرة المكان تنبه إلى خطورة الموقف مع المغامرين وقد راجع سجل اللصوص ، فالتفت إلى أبنائه وقال :

ـ لا يمكن الإقلال من قيمة عملكم ، وعظمته ولكن . . . ألم تفكروا لحظة في خطورة ما أقدمتم عليه ؟؟ . . .

تقدم منه عصام ، وأخرج من وسطه مسدساً آلياً من أحدث الأنواع وأفتكها ، وقدمه لعمه المفتش جميل وهو يقول :

ـ حقاً يا عمي . . . لقد نسيت أن أسلمكم هذا !! . .

تناول المفتش جميل المسدس ، وسط دهشة بقية رجال الأمن ، مما دفع الملازم حسني للقول :

ـ يا إلّهي . . . حقاً إنكم شياطين . . . كل واحد منكم يطلع علينا بمفاجأة . . .

كان المفتش جميل يعرف قدرة أفراد الفرقة على العمل الجيد ، ولكنه قال :

ـ كانوا يحملون مسدساً كهذا ، ومع ذلك جاذفتم بالتعامل معهم ؟ !

خرجت ليلى عن صمتها لتقول مداعبة :

ـ عمي . . . إنها قصة طويلة ومسلية . . . سنقصها عليك وعلى السيدة سعاد حالما يجتمع الشمل . . .

هز المفتش جميل رأسه بالموافقة ، وودع الجميع وبينهم الملازم حسني الذي كان لسان حاله يردد :

ـ لست أدري أي شياطين هؤلاء ؟ . . .

ـ تمت ـ

من مَنشورَات «دَارالنَفائسْ»

للأطفال والفتيان

- سلسلة أحسن القصص
- سلسلة حكايات النفائس للأطفال
- سلسلة الكون والحياة
- سلسلة المغامرين الأذكياء
- سلسلة صور من حياة الصحابة
- سلسلة مآثر الصحابة
- سلسلة العصبة الخفيّة
- سلسلة برهوم
- سلسلة المغامرين ١٣
- سلسلة زامبو

طبع في دار النفائس - ص.ب: ١١/٦٣٤٧ - هاتف: ٨١٠١٩٤ - بيروت